مفاهيم الجمال وتجلياتها في الفلسفة الاسلامية

* ا.م. د. سامي محمود إبراهيم

المستخلص: بحثنا هذا ينطلق من حقيقة موضوعية مفادها ان مفاهيم الجمال وتجلياتها هي تجسيد لخلاصة العطاءات التي توصل إليها العقل. وفي هذا البحث نؤكد على ان مفاهيم الجمال هي صورة متكاملة عن الاتجاهات الثقافية المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، لهذا يهدف البحث أيضا إلى فهم فلسفة الجمال ووضعها في إطارها الثقافي الاجتماعي التاريخي الصحيح.

تخصص المبحث الأول في: تحديد مفاهيم الجمال وتعريفها لغة واصطلاحا. وكشف القيمة الحقيقية للجمال عند المسلمين. ومدى ما وصل إليه الفكر الإسلامي من فهم لأهم القضايا الكبرى وأهمها مفهوم الجلال، وهذا المبحث هو بمثابة التمهيد لفكرة الجمال وتصورها. والمبحث الثاني في: مفاهيم الجمال عند الفلاسفة اليونانيين والمسلمين. وقد فرضت قيود البحث استكشاف الأصول الأساسية لمسألة الجمال في استبيان شمولها وإحاطتها بكافة جوانب الفلسفة. ومن هذه الأصول مفهوم العبودية ومفهوم المعرفة والكشف والتجلي وانه معزز لفهم الجمال.

كما سنميز في المبحث بين جمال مطلق وجمال مقيد، وإذا كان الجمال المطلق واحدا، لأنه يقابل الواحد الأحد، واجب الوجود، ولا يليق إلا به، فإن الجمال المقيد متعدد، لمقابلته كل ما عدا الله من مخلوقات. والمبحث الثالث: الأبعاد الوجودية والمعرفية لفلسفة الجمال الإسلامية. والخاتمة؛ وفيها اهم ما خرج به البحث من نتائج

المقدمة:

حقا إن إشكال أي فيلسوف –كما ينحو فيلسوف الجمال الألماني امانؤيل كانت– هي اشكال عصره ذلك ان العلم الذي يستخدمه والمفهوم الذي ينتقده في الواقع هما السائدان في زمانه، لكن "كانت" نفسه اهتم بالموضوعات ذاتها التي اهتم بها الفلاسفة المسلمون وخاصة مفاهيم الجمال. مما يعني أن الاهتمام بموضوع الجمال ظلَّ اهتماماً واحداً لا يختلف باختلاف الزمان والمكان، إلاَّ أنَّ المختلف طريقة فهم المفاهيم ووضعها في سياقها المناسب. وما مفهوم الجمال إلا واحد من هذه المفاهيم التي أثيرت مع بداية التفكير الفلسفي، وبقيت تثار إلى يومنا هذا. فمفهوم الجمال هو من أكثر المفاهيم بداهة لدى عامة البشر، ورغم ذلك ظل محل خلاف بين الفلاسفة. فقد تعددت تعريفاته (وتباينت)، بدءا من فلاسفة اليونان، ومرورا بالفلاسفة المسلمين. وقد تطور مفهوم الجمال في الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة حتى أصبح من أكثر المفاهيم المعرفية تعقيدا.

عليه، يهدف هذا البحث إلى إبراز فلسفة الجمال التي تميز بها الفلاسفة المسلمون. كما يهدف أيضاً إلى فهم فلسفة الجمال ووضعها في سياقها الوجودي والمعرفي والثقافي الصحيح، إذ إن فصل الفروع عن الأصول يؤدي إلى فوضى في المنهج وأخطاء في الأحكام. الأمر الذي يجعل الباحث أمام صعوبات الجمع والتصنيف وتقدير الصالح منها للفحص النقدي، آخذا بعين الاهتمام

* رئيس قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق d_sami80@yahoo.com

تنوع التجربة الجمالية وطابعها النسبي بين الفلاسفة والمفكرين، فضلا عن تطور دلالة مفاهيمها تعاقبيا. فالاختلاف واضح في المنهج وفي الممارسة والتعريف، وهذا الاختلاف عائد إلى أسباب عدة من أهمها الطابع الديني، وخصوصية التفكير، والبنية التراثية، والتجربة التاريخية الخاصة بكلٍّ منهما.

كان للدراسات التي أسهم في تطويرها العديد من الأساتذة العرب، وخاصة في فلسفة الجمال، أكبر الأثر في اختياري لموضوع البحث، وهو موضوع جديد لم يبحث بعد في الدراسات العربية المتخصصة على نحو تفصيلي، حسب علمي. فمعظم الدارسين والباحثين في فلسفة الجمال قد اتجهوا في الأغلب إلى دراسة الجمال دراسة جزئية فأهملوا العديد من المسائل المتعلقة بها وحصروا مفهوماتها في دوائر ضيقة. فهذه الدراسات مع انها قيمة ومفيدة وقد أفادتنا كثيرا، إلا اننا نعتقد ان البحث في فلسفة الجمال عند أي فيلسوف يتطلب البدء والوقوف على الكثير من المسائل الفلسفية كالطبيعة وما بعد الطبيعة، والخير والشر، والحسن والقبح، والصورة والمادة، وما يتعاقب عليهما من حدس وإحساس، وهنا يكمن الجمال الذي يسري في النفس كما يسري في الطبيعة لذلك فالبحث فيه مهم للغاية.

وعليه نبدأ مقاربتنا هذه والتي نطمح فيها إلى رسم معالم رؤية جديدة أعمق وأشمل لفلسفة الجمال، انطلاقا من قراءة جديدة نقترحها لدراسة هذه الفلسفة. وتسعى إلى بيان الأفكار والمواقف الجديدة والمبتكرة التي خرج بها الفلاسفة المسلمون في موضوع الجمال يتضح من خلالها:

1. النظام الجمالي للطبيعة وضرورته وانتظامه ثم ارتباط هذا النظام بالناحية النفسية الإنسانية.
2. كل ما في الوجود يسير وفق نظام متسق ونواميس ثابتة لا تتغير، وان الوجود بأسره عبارة عن تناسق وانسجام وتكامل. فالجمال إبراز صفات الوجود. ولعل ما تقدم ذكره يبين البواعث الأساسية التي دعتني إلى دراسة هذا الموضوع.

وبناء على ما تقدم أوزع البحث بعد هذه المقدمة، على ثلاثة مباحث وخاتمة.

أخصص المبحث الأول في: تحديد مفاهيم الجمال وتعريفها لغة واصطلاحا. وكشف القيمة الحقيقية للجمال عند المسلمين. ومدى ما وصل إليه الفكر الإسلامي من فهم لأهم القضايا الكبرى التي ترتبط به وأهمها مفهوم الجلال، وهذا المبحث هو بمثابة التمهيد لفكرة الجمال وتصورها. والمبحث الثاني في: مفاهيم الجمال عند الفلاسفة اليونانيين والمسلمين. وقد فرضت قيود البحث استكشاف الأصول الأساسية في الفلسفة الإسلامية لمسألة الجمال في سبيل استبيان مدى شمولها وإحاطتها بكافة جوانب

الفلسفة. ومن هذه الأصول مفهوم العبودية ومفهوم المعرفة والكشف والتجلي وانه معزز لفهم الجمال. كما سنميز في المبحث بين جمالان: جمال مطلق وجمال مقيد، وإذا كان الجمال المطلق واحدا، لأنه يقابل الواحد الأحد، واجب الوجود، ولا يليق إلا به، فإن الجمال المقيد متعدد، لمقابلته كل ما عدا الله من مخلوقات، وهي متعددة. والمبحث الثالث: الأبعاد الوجودية والمعرفية لفلسفة الجمال الإسلامية. والخاتمة؛ وفيها بيان أهم ما وقف عليه البحث من نتائج خرج بها.

ومن نافلة القول الحديث عن صعوبات واجهت الباحث في دراسته، فضلا عما يرتبط بحدود الموضوع واتساعه زمانيا ومكانيا، كما أشرنا، وأبرز هذه الصعوبات قلة الدراسات التي تعالج موضوع الجمال من زاوية فلسفية. وإذ نقدم هذه الدراسة لا نبتغي الوقوف عند ما خلفه أسلافنا من أعمال جليلة ومقارنتها بالفلسفات الغربية؛ بل نريد أن نتخذ مما يصلح منها مفتاحا لعطاء جديد فنكمل المسيرة وبذلك نصل الحاضر بالماضي بعين مفتوحة على المستقبل، فتكون صلتنا عندئذ بتراثنا صلة حية معطاءة تحقق ديمومة الرسالة وترسخ دورنا بوصفنا أمة حية، أمة قادرة على النهوض رغما عن جميع ما يعتريها من عارض المحنة الحاضرة. وفي الوقت الذي نشعر فيه بأننا بذلنا جهداً نأمل أن يكون موضع نقدٍ علميٍ بناءٍ لنعوض ما فاتنا من أمور لتصبح في المستوى العلمي الرصين.

وما توفيقي إلا بالله، هو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول: تحديد مفهوم الجمال لغة واصطلاحا:

الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود، إن لم تكن أبرز سماته، والحس البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة وعند أول لقاء، وهو ليس أمرا ضروريا في هذا الكون، على الرغم من تجليه في كل مكان، وظهوره في كل شيء، ومن هنا يعتبر من كمال هذا الكون ومن تمام هذا الوجود، وهو نوع من النظام والتناغم والانسجام ذو مظاهر لا تحد وتجليات لا حصر لها، فالدقة والرقة والتناسق والتوازن والترابط ومظاهر أخرى كثيرة يشعر بها الوجدان وإن لم يستطع التعبير عنها ببيان. وفهم الجمال والإحساس به، والميل نحوه مسألة فطرية تعيش في أعماق النفس البشرية. فالنفس الإنسانية تميل إلى الجمال، وتشتاق إليه، وتنفر من القبيح، وتبتعد عنه. هذا بالإضافة إلى أن الإحساس بالجمال وفهمه يهذب المشاعر والسلوك الإنساني، ويسمو بالذوق البشري.

وكلما تسامى الإحساس بالجمال وفهمه لدى الإنسان، ووعى القيمة الجمالية بدلالاتها الحسية والمعنوية، تعالت إنسانيته، واستقام سلوكه[1].

والجمال في اللغة هو "الحسن وحسن الصورة والسيرة... ويطلق على معنيين أولهما: الجمال الذي يعرفه كل الجمهور، مثل صفاء اللون ولين الملمس وغير ذلك، وهو على قسمين: ذاتي، وممكن الاكتساب، وثانيهما: الجمال الحقيقي: وهو أن يكون كل عضو من الأعضاء على أفضل ما ينبغي أن يكون عليه من الهيئات والمزاج"[2]. وفي الحديث الشريف "إن الله جميل يحب الجمال"[3]، أي جميل الأفعال. وفي مختار الصحاح نجد أن "الجمال يعني الحسن، وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمرأة جميلة"[4].

وفي معجم الراغب الأصفهاني: "الجمال الحسن الكثير وذلك ضربان الأول: جمال يختص في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصل منه إلى غيره، وقولهم جمالك أن لا تفعل كذا إغراء أي ألزم الأمر الأجمل ولا تفعل ذلك"[5]. وفي معجم البستاني نجد إن "الجمال هو الحسن في الخلق والخلق..."[6]. وأما في لسان العرب نجد أن "امرأة جميلة وجملاء، وهو أحد ما جاء من مصدر فعلاء لا افعل لها"[7]. إن الجمال ظاهرة أصيلة وراء كل الأشياء وفي الطبيعة وفيما ينتجه الإنسان. ومما سبق يتضح لنا أن كلمة الجمال تعني كل ما يدركه الإنسان ويسر له ويبتهج به ويحسه. فالجمال هو الكمال الذي نحسه لونا وشكلا ومضمونا عندما نرى زهره أو شجره أو جبلا أو بحرا.

والجمال مصدر جميل كقوله تعالى: ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾(النحل:6).

ومن معاني الجمال (الحسن): "والحسن هو الكائن على وجه يميل إليه الطبع، وتقبله النفس، والمقصود بالطبع هنا كل طبع، وبالنفس كذلك وليس المعنى بعيداً عن عمومية الإحساس بالجمال، والإحساس بالجمال يتم حسب ميل النفس والطبع مباشرة دون حجاج يقوم بين النفس والعقل، والحسن في نظر العقل ما يميل إليه عقلاً وشرعاً كالإيمان بالله، والعدل والإحسان، والحسن صنفان: طبيعيٌ وعقليٌ والفرق بينهما أن الحسن الذي يميل إليه الطبع قد يفنى لأنه يتعلق بالبصر، أما الحسن العقلي فهو باق

[1] ستيفان كورنر. مسائل أساسية في الفلسفة، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد: بيت الحكمة، 2009، ص164.
[2] التهانوي، محمد علي الفاروقي. كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، مادة جمال، القاهرة:1963، ج1، ص34.
[3] القشيري، مسلم بن الحجاج أبو موسى. الحديث في صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: د.ت. ج1، ص93.
[4] الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مادة جمل، الكويت: 1983، ص111.
[5] الأصفهاني، الراغب. معجم مفردات ألفاظ القران، مادة جمل، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، 1972، ص95.
[6] البستاني، الشيخ عبد الله. معجم البستان، مادة جمل، بيروت: 1972، ج1، ص45.
[7] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب، مادة جمل، المجلد الأول، بيروت: د.ت.، ص126.

لتعلقه بالبصيرة، وان جمال الأجسام قد يتغير إلى قبح بخلاف الجمال العقلي"[1]. والجمال هو الحسن، وجمل جمالاً: حسن خلقاً فهو جميل، الصبر الجميل الذي لا ذل فيه ولا جزع[2].

ومن معاني الجمال أيضاً: "البشارة وتعني الجمال والحسن، ويحكم بها على الإنسان فيقال: رجل بشير، وامرأة بشيرة، لكن هذا الحكم لا ينطبق على أعضاء الإنسان بل يقتصر الحكم به على الوجه، فيقال: وجه بشير أي حسن، ويتحقق الحسن فيه عندما ينبسط الإنسان بسبب السرور فتظهر آثار ذلك الانبساط في بشرة الوجه، وبذلك قالوا: ابشر الأمر وجهه حسنه ونضره"[3].

والجمال عند الفلاسفة، صفة الأشياء، تبعث في النفس السرور والرضا والقبول، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، الجمال والحق والخير[4].

وقد ذهب الباحثون إلى أن "العلم الذي يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته يُسمَّى بعلم الجمال وهو باب من الفلسفة، فالجمال أحيانا في الأشياء ومدى موافقته لنا، وهو في الخير أو النافع وهو أحيانا في أرواحنا، وفي بعض الأفكار يتمثل الجمال في التوازن والتناسق والتناغم، والنظام الذي يجمع الأجزاء، وربما كان الجمال ما يمتعنا بمجرد تأمله"[5]. ويرى توفيق الطويل "بأن الجمال الجمال بوجه عام، صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضاً"[6].

وقد اختلفت آراء الفلاسفة في إعطاء مفهوم وتعريفٍ شاملٍ للجمال، تبعا لاختلاف الأذواق، واختلاف مناهجهم في المعرفة ومواقفهم الميتافيزيقية عن الوجود، فقد ذهب أفلاطون وأرسطو إلى أن الجمال هو التناسب والائتلاف والنظام والكمال في كل الموجودات وفي كل الأشكال والحركات والأنغام وغيرها[7]. من هذا المنطلق يطلق مفهوم الجمال لوصف الأشياء التي ترتاح لها النفس[8]. وعلى هذا فمن الصعب أن ننكر أهمية الجمال فلو حاولنا دراسة الحياة من جانبها الفردي والاجتماعي، من وجهها

[1] شلق، علي. العقل في التراث الجمالي عند العرب، ط1، بيروت:1985، ص18.

[2] محمد إسماعيل إبراهيم. قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة: 1381هـ، ص69.

[3] الكبيسي، محمد محمود." الألفاظ الجمالية في اللغة العربية"، مجلة دراسات فلسفية، بغداد: بيت الحكمة، عدد20(2007)، ص56.

[4] جميل صليبا. المعجم الفلسفي، ط1، مادة جمل، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1971، ج1، ص407.

[5] قبيلة فارس المالكي. " الجمال في الفكر العربي"، مجلة الحكمة، بغداد، عدد22(2002)، ص134.

[6] توفيق الطويل، وسعيد زيدان. المعجم الفلسفي، مادة جمل، القاهرة: 1983، ج1، ص62.

[7] إسماعيل عز الدين. الأسس الجمالية في النقد العربي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، ص38.

[8] جوليوس بورتنوي. الفيلسوف وفن الموسيقى، ترجمة فؤاد كامل، القاهرة:1974، ص33.

المتمدن أو البدائي الحديث أو القديم لما استطعنا أن نتجاهل مظهرها الجمالي. ومن المفاهيم ذات الصلة بالجمال مفهوم الجلال: جلال الله، عظمته، والجليل العظيم[1].

وأما البهاء: مصدر المنظر الحسن الرائع، وبما أن الجلال والبهاء من صفات الله تعالى، فيتجلى معيار الحسن من صفات الله تعالى، فيتجلى معيار الحسن من صفات الله وأفعاله وهذه الصفات هي سبب حسن كل حسن، وإنما نالت الأشياء كلها الحسن والجمال والبهاء منها وبها[2]كما نجد مفهوم الجمال وقع في الإبداع البلاغي ولاسيما حين حرصت أساليب البلاغة على استخراج أسرار الجملة اللغوية والنحوية والأدبية في وقت واحد لتصل بالكلام العربي إلى مرتبة البيان المؤثر الساحر الذي يثير النفس والفكر. فالبيان والجمال مفهوم واحد. الجمال عند الفلاسفة "صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سرورا ورضا"[3].أما الجميل فهو "مقولة تعكس وتقوم ظواهر الواقع والأعمال الفنية التي تمنح الإنسان إحساساً بالحقيقة الجمالية". وتعتبر المثالية[4] (أفلاطون وكانت وكانت وهيجل) الجميل صفة للروح أو للوعي سواء أكان موضوعياً أو ذاتياً[5]. وقد أفاظ العقليون في بيان مفاهيم الجمال، فذهب فذهب (جويو) في تعريفه للجمال إلى القول: إنه إدراكٌ أو فعلٌ يُنعش الحياة في صورها الثلاث: العاطفة والعقل والإرادة، وما لذة الجمال إلاَّ الشعور بهذا الانتعاش[6]. إن الاختلاف الذي حصل حول مفهوم الجمال يرجع إلى عاملين[7]: أحدهما يتعلق بالأسس النظرية والتوجهات الفكرية المختلفة التي يستند إليها الباحثون في الجمال ودارسوه، والثاني مُرتبطٌ بالإدراك وما يتحكم فيه من آليات، فتاريخ علم الجمال يؤكد قيام صراعٍ مريرٍ بين النظريتين المادية والمثالية حول الجمال، حيث كان الماديون يعتبرون الظواهر الجمالية ذات أساس موضوعي كامن في الطبيعة وفي حياة الإنسان، في حين كان المثاليون ينظرون إلى الظواهر الجمالية على أنها ذات منشأ روحيٍ.

[1] الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مادة جلل، ص107. كذلك ينظر، ظاهر احمد الراوي الطرابلسي. القاموس المحيط، القاهرة: د.ت.،مادة جلل، ج1، ص446.

[2] عبد القادر فيدوح. الجمالية في الفكر العربي، دمشق: 1999، ص70.

[3] جميل صليبا. المعجم الفلسفي، ج1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982، ص407.

[4] روزنتال: الموسوعة الفلسفية، ص280.

[5] الموسوعة الفلسفية، عدد من الفلاسفة السوفيت، بإشراف روزنتال، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم وآخرين، بيروت، دار الطليعة، ط2، 1980، ص168.

[6] جويو، جان ماري. فلسفة الفن المعاصر، ترجمة سامي الدروبي، بيروت: دار اليقظة العربية، 1948، ص11.

[7] عبد المنعم تليمة. مداخل إلى علم الجمال الدار البيضاء: منشورات عين المقالات، ط1987،2، ص23.

المبحث الثاني: مفاهيم الجمال عند الفلاسفة اليونانيين والمسلمين:

المقصد الأول: الجمال عند الفلاسفة اليونانيين:

على الرغم من أن الحس السليم والفطرة السوية عند كل البشرية تشعر بتلقائية بمظاهر الجمال، وتؤخذ لأول وهلة بتأثيره وسلطانه على حواس الإنسان الجوانية، إلا أن طالما مقاييس الجمال تظل نسبية عند كل أمة. كان الإغريق يرون الجمال في الشباب المقترن بالهدوء والتناسق، وسيطر عليهم مفهوم الانسجام والتناغم كمثلٍ أعلى للجمال. ويكمن ذلك في إحساسهم بشكل واضح بضرورة فرض النظام المتناسق أو الانسجام المتناغم على المادة المهوشة؟ وخلق التناسق والتآلف في الاضطراب والتنازع وإقرار التشكيل المتسق. وبدأ فيثاغورس في تفسير الجمال بأنه جوهر آلية التناسق العددي التي تنطبق على أبسط الظواهر وأعقدها، فالعالم نغمٌ وعددٌ، وجمال الموسيقى كجمال الوجود يكمن في النسب والعلاقات الرياضية[1]، كما يكمن جمال الكون في الانسجام الدقيق بين حركة الكواكب. واعتاد الطبيعيون الأولون من فلاسفة الإغريق أن يفسروا الظاهر بالعناصر الطبيعية وأن يشرحوا كل الموجودات بما يتخللها من أسرار العدد. لذلك مالوا إلى تعريف الجمال بعبارات تسودها ألفاظ الكم والكيف وإشارات تدل على المكان. فالموسيقى انتظام الأصوات والجمال انتظام في نسب التشكيل.

أما الجمال عند أفلاطون(ت347ق.م) "فهو الجمال المطلق المعقول الذي لا يداخله أي قبح، إنه الجمال بالذات أو مثال الجمال"[2]. والجمال عند أفلاطون يبدو بشكل واضح في محاورة فايدروس التي كرسها للجمال حيث يقول: "من يفتنه رؤية الجمال الأرضي فيذكره هذا الجمال بجمال العالم العقلي أو عالم المثل وهو الذي يثير في الإنسان حب التأمل والعجب، بل يصبح من شدة شغفه بهذا العالم أشبه بمن تنبت في نفسه أجنحة تتعجل الطيران والصعود إلى الملا الأعلى"[3]. فعلى الفيلسوف ألا يقف عند عند الحد الذي يقف عنده الإنسان العادي، وإنما ينبغي عليه أن يتدرج في سلم المعرفة ويصعد حتى يبلغ المثال[4]. وكثيرا ما يقال إن إن المثال الجوهري هو أسمى موضوع للعلم[5]. وهكذا نجد أن المراحل المعرفية التي يقدمها أفلاطون في موضوع الجمال لا تتخلى أبداً أبداً عن دور العقل، ففي المرحلة الأخيرة من مراحل الصعود يكون هناك علم بالجمال الحقيقي أو الجمال بالذات[6]. ومن أجل أن

[1] جان برتملي. بحث في علم الجمال، ترجمة أنور عبد العزيز، القاهرة/ نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1970، ص348.

[2] مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984، ص86.

[3] أفلاطون. محاورة فايدروس، ترجمة أميرة حلمي مطر، القاهرة، 1969، فقرة 249، ص77.

[4] نايف بلوز. علم الجمال، ط1، دمشق: 2003، ص12.

[5] نظله الحكيم وآخرون. جمهورية أفلاطون، مصر، د.ت.، ص108.

[6] السامرائي، سناء عبد الوهاب. "علاقة الجمال بالأخلاق في فلسفة أفلاطون"،(رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1989)، ص102.

أن يحل أفلاطون لغز الجمال ظل مشغولا به طوال حياته يتكرر في غالبية محاوراته، وانتهى إلى أن الحقيقة هي بعينها الجمال. ويجعل أفلاطون الجمال وسيلةً لتهذيب الانفعالات.

لقد تمكن أفلاطون من أن يجعل الهوس بالجمال هوساً للحب، فالجمال ليس قاصرا على الفن؛ بل هو عنصر تحرير النفس الإنسانية، وباقتران الحب بالجمال تصعد إلى الجمال الحقيقي؛ جمال الماهية والحقيقة[1]. ولم يقتصر أفلاطون على شرح الجمال الطبيعي والحقيقي ومحاولة العروج إليه، بل اهتم أيضا بالجمال الفني، ورأى فيه الجمال المعبر عن حقيقة الأشياء، ذلك لأن الصورة الهندسية تعبر في رأيه عن الحقيقة المعقولة الثابتة لجميع الموجودات الطبيعية.

أما أرسطو (توفي 322ق.م) فقد أحدث تعديلا أساسيا على نظرية أفلاطون في الجمال. فالجمال موضوعي يتمثل فيما يتصف به الشيء من ترتيبٍ، وتناسبٍ، ووضوحٍ، وغائيةٍ، ونظامٍ، ووحدةٍ. ممَّا يعني أنَّ أرسطو كان ينظر للجميل باعتباره وجوداً لا باعتباره موجوداً، فهذه التفرقة بين وجود الموجود وبين الموجود تنطبق على مفهوم الجمال عند أرسطو، فانه نظر إلى الجميل باعتباره وجوداً لموجودٍ، لا باعتباره موجوداً قائماً بالذات[2]. لهذا السبب ينطلق أرسطو في تحليله ودراسته للظاهرة الشعرية والفنية، من التأكيد على أن الفعالية الشعرية والفنية، لدى المبدعين عموماً، تتعلق أساساً بالمحاكاة، وتختلف الأعمال والابداعات الفنية والشعرية، بعد ذلك، تبعاً للأنحاء التي تكون بها المحاكاة، وهي إمَّا ترجع إلى الوسائل، أو الموضوعات، أو الأسلوب والشكل الفني. والمحاكاة في استعمال أرسطو، هي بالإضافة إلى كونها مبدأ سببياً للشعر والفن، فهي أيضا، وقبل ذلك، مبدأ غريزي في الإنسان، يرتبط به تهيؤ الإنسان لتقبل المعارف الأولية، كما يرتبط به الشعور باللذة الناجمة عن حصول المعرفة والتعلم لدى الإنسان[3]. وقيمة المحاكاة بمقدار ما تبعثه من رضا ومن بهجة في نفوس المتذوقين للفن يمكن أن تكون في حد ذاتها متصفة بالجمال، حتى ولو كانت محاكاة لما هو متصف بالنقص والقبح، ذلك لأنها محاكاة للحياة الإنسانية وللواقع بكل ما فيه من خيرٍ ومن شرٍ.

لقد كان لفلسفة أرسطو في الفن تأثيراً كبيراً في العالم الأوروبي، فتأثر النقاد بكتابه (فن الشعر)، وخاصة في القرنين (18. 17)، وعنه أخذ الكلاسيكيون المعايير العقلية للنقد الفني، وطبق كتاب المسرح الكلاسيكي معاييره في ضرورة الالتزام بوحدة الحدث، ووحدة المكان، ووحدة الزمان، العمل الفني يجب ألا يتجاوز في الحكم قدراً معيناً من الأفراد وتسلسلاً واضحاً بين الأحداث وتألفاً

[1] أرمان كوفيليه. نصوص فلسفية" مقدمة في علم النفس وعلم الجمال"، آلاء اسعد الفخري، بغداد: بيت الحكمة، 2006، ص358.

[2] مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال، مرجع سابق، ص90.

[3] أرسطو. فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الثقافة، ط2، 1973، ص12. كذلك، بدوي، عبد الرحمن. أرسطو، بيروت: 1980، ص270.

وانسجاماً بين العناصر، ومن هنا لم يكن النحت أو الموسيقى أقلَّ التزاماً من المسرح بالمقاييس الجمالية التي وضعها أرسطو للجمال.

وأما أفلوطين (توفي270ق.م) فقد ذهب في حديثه عن الجمال إلى القول: "إن على الفنان أن يرجع إلى عالم المعقولات ليتصور مثال الجمال"[1]. وهذا توجه يقترب من نظرية أفلاطون حول مثال الجمال والجمال المطلق، ومعه أيضا "تم الانتقال من النظرة الجمالية اليونانية الكونية إلى النظرة الآخروية الصوفية اللامادية، من الجمال الخارجي إلى الجمال الداخلي النفسي. وكان أفلوطين يعتقد إننا كلما تحررنا من رجس المادة اقتربنا من الجمال المطلق الإلهي"[2]. ممَّا سبق نخلص إلى أنَّ الجمال عند أغلب فلاسفة اليونان كان يدور حول مثال الجمال أو الجمال بالذات، وهذا الجمال المطلق هو الجمال الحقيقي لأنه خاص بجمال الذات الإلهية. ويمكن أن يُقال من باب التجاوز أن الجمال ظهر كفلسفةٍ أو كموضوعٍ فلسفي عند اليونان. فاليونان أطلقوا أفكارهم الجمالية بدون أن تحاط هذه الأفكار بإطارٍ من التخصص كأن تجعله فرعا قائما بذاته بين علوم الطبيعة والأخلاق وعلم النفس وعلم المنطق وعلم الميتافيزيقا وعلم السياسة وعلم اللغة. واكتفى الفلاسفة بإطلاق نظرياتهم الجمالية في إطار المناقشة أو في إطار الكلام العام في أبواب الفلسفة المختلفة كنسقٍ عامٍ شاملٍ. ويعود الفضل في إطلاق مصطلح علم الجمال على هذا الفرع المستقل من الدراسات الفلسفية إلى الفيلسوف ألكسندر بومجارتن (1714-1762) الألماني الجنسية وأحد تلاميذ (ليبنتس) و(فولف) في القرن الثامن عشر عندما ظهر كتابه (التأملات) وأتبعه بكتاب ثان تحت اسم الاستيطيقا(Aesthetics)[3]. وعلم الجمال أو الإستيطيقا (aesthetics) كلمة من أصل يوناني (aithanaomia) تعني الإدراك، وقد أطلقها بومجارتن على أحد مجالي دراسة المعرفة بوصف الجمال علما يختص بدراسة الخبرة الحسية المقترنة بالشعور، وتمييزا له عن نوع آخر من المعرفة المنطقية التي تدرس الأفكار المحددة والمجردة. وقد ظل مفهوم الإستطيقا مرتبطاً بقوة بالخبرة الحسية ونوع المشاعر التي تخلقها فينا تلك الخبرة[4].

ومن هنا يذهب بعض الباحثين إلى أن ما عُرِفَ من قبل لا يعدو أن يكون مفاهيماً أو لمحاتٍ جماليةً أو نظراتٍ جماليةً تدخل في إطار الفلسفات أو النسق العام.

[1] مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال، مرجع سابق، ص91.
[2] نايف بلوز. علم الجمال، مرجع سابق، ص13.
[3] زكريا إبراهيم. فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، 1966، ص8.
[4] جميل صليبا. المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص408-409

المقصد الثاني: مفاهيم الجمال عند الفلاسفة المسلمين:

إذا كان الفكر العلمي والفلسفي الإسلامي قد أثرا في الفكر الغربي، فما احرانا أن نكون على بينة من تراثنا العلمي والفلسفي بشكلٍ عامٍ والفلسفة الجمالية الإسلامية منه بشكلٍ خاصٍ. فالفكر الفلسفي الجمالي الإسلامي، إنما يشكل الهوية والخصوصية والسلم القيمي الأكثر ائتلافاً معنا لنُنتج من خلاله أفكاراً وسلوكاً وقيماً فنيةً وجماليةً تكون أسالیباً وذواتاً وفقاً للأنموذج الإسلامي الذي لا يُمكن الانسلاخُ عنه.

لقد كان للفلاسفة المسلمين ردود أفعال مختلفة ومتباينة حيال الجمال من حيث كونه مفهوماً، ومن حيث كونه انطباعاً، وحيال أشياء مادية وروحية مختلفة، يُتذوَقُ جمالها عقليا[1]. فقد كان لفلاسفة الإسلام مفاهيمٌ خاصةٌ حيال الجمال، وإن أشهر هذه المفاهيم التي ادت دوراً مهماً في النظرية الجمالية عندهم، هو مفهوم التناسق، هذا المفهوم الذي يتفق مع بحوثهم حول نظريات الموسيقى التي تطور فيها مفهوم الجمال[2].

في هذا السياق أولى الكندي(185هـ-252هـ): للموسيقى أهميةً كبيرةً، لما لها من أثرٍ كبيرٍ في انفعالات النفس وميولها، لذا جاءت أغلب أرائه الجمالية ضمن مؤلفاته الموسيقية: فالموسيقى أقرب الفنون إلى الطابع الروحي، إذ أن حاسة الاستمتاع بطبعها أقوى صلة بعالم الإنسان الداخلي من بقية الحواس، ولعل هذه الفكرة هي التي أوحت لمتصوفة الإسلام المسلمين أن يعدوا السماع طقسا من طقوس العبادة أو رديفا لها[3]. ويصف الكندي جمالية الموسيقى وتعلقها بالجانب الروحي، وتأثيرها في النفس، وتطهيرها وتخليصها من عوالق الجسد، وكيفية صعودها إلى العالم القدسي الشريف عالم اللذات العقلية[4]. وعد الكندي الموسيقى نوعا من التأليف، وصنفها ضمن العلوم الرياضية إضافة إلى العدد والهندسة[5]. وهذه الفكرة كانت لدى فيثاغورس الذي جعل الأعداد جوهر الحقيقة، وأن تناسق العالم يأتي من علاقات عددية بسيطة تنتجها الموسيقى، ونجد هذه الفكرة عند أفلاطون وأرسطو، كما نلاحظها واضحة عند الفلاسفة المسلمين[6]. وفي هذا الصدد يقول الكندي: "العدد متى كان من خارج يحرك النفس، ومتى كان

[1] محمد احمد الراشد. آفاق الجمال، ط3، دار المحراب للنشر، فان كوفر، كندا،2003، ص16 .

[2] زكي نجيب محمود. نافذة على فلسفة العصر، سلسلة كتاب العربي، الكويت،1990م، ص201-202.

[3] رائد احمد كمر. "الرؤية الجمالية في الفلسفة الإسلامية من الكندي إلى الغزالي"، (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1998)، ص42.

[4] الكندي. مؤلفات الكندي الموسيقية، تحقيق زكريا يوسف، بغداد: 1962، ص107.

[5] الكندي. رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي، ط1، مصر: 1968، ص369.

[6] جان برتليمي. بحث في علم الجمال، ترجمة أنور عبد العزيز، مراجعة نظمي لوقا، مصر، د.ت.، ص348.

من داخل حرك الوتر"[1]. كما يحاول الكندي وضع نمطٍ خاصٍ عن التذوق الجمالي للألحان والألوان والروائح. فالألوان المختلفة برأيه مثل الألحان تستطيع أن تُعبر عن هذا الشعور أو ذاك وتثيره، كما يوجد بين أنواع معينة من الألوان والألحان من حيث تأثيرها النفسي تشابه معين. وكذلك الحال بالنسبة للروائح التي يعتبرها موسيقى صامتة[2]، الشيء الذي مكنه من وضع قوانين مميزة مخصصة لجمالية اللحن والإيقاع والأداء، حيث أفادت منها النظريات الموسيقية الأوروبية في عصر النهضة إفادة كبيرة ذكرها كثير من المستشرقين المتخصصين في الموضوع. ولعل المثل الأعلى الذي تتجه إليه فنون اليوم كما يقول المؤرخ الإنجليزي "هربرت ريد"[3] هو أن تبلغ مستوى الموسيقى؛ أي أن تصل إلى ما في الموسيقى من جمال لا يصدر إلا عن القيم الفنية الخالصة. فالموسيقى هي أكبر الفنون تجرداً عن الأهداف العملية لأن وسيلتها في التأثير على النفس الإنسانية لا تخدم أغراضا خارجة عن نطاق الفن. فليس شأنها مثلا شأن فن العمارة الذي يستخدم البناء ويفيد في تحقيق أغراض أخرى غير مجرد إحداث البهجة الجمالية. كذلك الحال بالنسبة للكلمة وسيلة الشعر التي قد تستخدم في غرض آخر غير خلق الصور الفنية، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتصوير حين يكون موجهاً إلى تحقيق منفعةٍ أو نقل معلومات معينة.

أما عند الفارابي (209هـ-339هـ) فنجد أن الجمال يتضمن مفاهيم عديدة كالبهاء والزينة والكمال. فهو يقول في تحديده لمعاني ومفاهيم ومدلولات الجمال "والجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو أن يوجد وجوده الأفضل، ويحصل له كماله الأخير"[4]. الأخير"[4]. لهذا السبب يؤكد الفارابي على أهمية الموسيقى في كشف وتقريب مفاهيم الجمال والكمال. وكما يقول: "إن علم الموسيقى ذو فائدة من حيث إنه يرجع توازن التفكير لذلك الذي فقده، ويجعل الذين لم يبلغوا الكمال أكثر كمالاً، ويحافظ على التوازن العقلي عند هؤلاء الذين هم في حالة توازن فكري"[5]. وتلك من الملامح الجمالية التي تساعدنا على اكتشاف وظيفة الموسيقى كظاهرة فنية في المجتمع. ويرى الفارابي أن التام في الجمال هو الذي لا يوجد جمال من نوع جماله خارجا منه. وهذا يعني أن الموجودات تتفاوت في الجمال بحسب تحقق الوجود الأفضل. لهذا عرف الفارابي الجميل: "بأنه ذلك الشيء الذي يستحسنه

[1] الكندي. مؤلفات الكندي الموسيقية، مرجع سابق، ص107.

[2] الكندي. رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي، القاهرة: دار الفكر العربي، 1950، ص238.

[3] الالوسي، حسام محي الدين. الفن "البعد الثالث لفهم الإنسان"، بغداد: بيت الحكمة، 2008، ص47. وللتفصيلات ينظر، هربرت ريد. الفن والمجتمع، ترجمة فارس متري، بيروت: 1975، ص182.

[4] الكبيسي، محمد محمود. "الجمال عند الفارابي"، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد 27، 1996، ص336.

[5] سعيد زايد. الفارابي (سلسلة نوابغ الفكر)، القاهرة: دار المعارف، 1962، ص13. كذلك ينظر، الفارابي. الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1998، ص47-49.

العقلاء"[1]. كما عرف الفارابي الجمال بقوله: "هو ما يدرك وجوده الأفضل ويحصى كماله الأخير"[2]، والكمال من صفات الله تعالى إضافة إلى الجمال[3]، لذلك أعطى صفة تام الجمال للموجود الأول وهو الله تعالى[4]، لأن وجوده أفضل الوجود[5]. ويذهب الفارابي إلى أن جمال الله هو الجمال الفائق لكل جمال وأن إدراك جمال الله تعالى يتم من خلال ما ندركه من جمالات الدنيا بالإحساس والعلم العقلي. والاستمتاع بالجمال شيء مشترك بين الإنسان والله ولكن نسبة شعور الإنسان بالجمال وإدراك الله للجمال كنسبة المحدود إلى اللامحدود[6]، فالموجود الأول الله تعالى هو الجمال المحض والجمالات على تعدد مراتبها ومفاهيمها تفيض عنه. كما أن الفارابي يعزف الموسيقى بحذاقة وبراعة، ويعد مُبتكراً لآلة القانون، ومما يروى عنه، أنه عزف ثلاثة أنواع من الألحان. فأضحك الحاضرين في النوع الأول منها، وأبكاهم في النوع الثاني، وتركهم نياماً في النوع الثالث[7]، وهذا يمنحنا تصوراً أنهُ يجمع بين الممارسة والتنظير الفكري في المجال الموسيقي، ففي كتابه الموسيقى الكبير، يطرح الفارابي طروحاته في صناعة الموسيقى، وهيأة الألحان وأصنافها وغاياتها، وشرح المناسبات العددية البسيطة في الأبعاد الصوتية، وأجناس الأنغام والإيقاعات، والمتلائمات والمتنافرات من الألحان[8]. وموضوعات تفصيلية أخر، كما أن له طروحات على مستوى المعالجات التقنية، وفي مجال العزف، فضلا عن حساسيته العالية في عالم الأنغام، وصناعة الموسيقى لديه ليست صناعة ألحان فحسب؛ بل هي أيضا تتضمن الأسس المفاهيمية التي تنبثق من خلالها مع كمال وجوده الألحان، ومن ثم لا تمثل هذه الأسس مبادئ الصوت، وإنما تمثل بذلك الأسس الجمالية [9]. ويعتقد الفارابي أن هناك ثلاثة أنواع من الألحان، هي الألحان الملذة، وهي تمنح النفس اللذة، وتعد بطانة وجدانية للإدراك، وتتناسب طردياً مع كماله، وهناك الألحان المخيلة، وهي تحدث في النفس التصورات والتخيلات، وثالثاً الألحان الانفعالية، وترتبط هذه الأخيرة بانفعالات المستمع، فقد تزيد من انفعالاته، وقد تساعد في إزالتها[10]. ويرى الفارابي أن الألحان الموسيقية تُعد علاجا

[1] الكبيسي، محمد محمود. "الجمال عند الفارابي"، مرجع سابق، ص336. وللمزيد ينظر، ص340-342.

[2] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، ط1، بيروت: 1959، ص46.

[3] المرجع السابق، ص23.

[4] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، ط1، بيروت: 1959.ص40.

[5] الفارابي. السياسة المدنية، تحقيق فوزي متري النجار، ط1، بيروت:1964، ص30.

[6] شلق، علي. العقل في التراث الجمالي عند العرب، مرجع سابق، ص66.

[7] الكبيسي، محمد محمود. "الجمال عند الفارابي"، مرجع سابق، ص340. وقارن، ابن خلكان. وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج5، ص155.

[8] الفارابي. الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1998، ص48.

[9] ، أديب نايف ذياب." نظرية الفارابي في الموسيقى، قراءة جمالية"، مجلة البيان، العدد117، 1975، ص58.

[10] عارف عبد فهد. "فن الموسيقى عند إخوان الصفا"، مجلة دراسات فلسفية، بغداد: بيت الحكمة، 2009، ص78. كذلك ينظر، أديب نايف ذياب." نظرية الفارابي في الموسيقى"، مهرجان الفارابي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1975، ص10.

نفسيا، فهي تحافظ على توازن التفكير وبلوغ الكمال والمحافظة على التوازن العقلي، بل إن الفارابي يربط بين علاج الروح وتأثراتها في صحة وفاعلية الجسم. كما يذهب إلى أن الإنسان مفطور على قوى يميز بها أفعاله. ولكن الفطرة لا تقود إلى اختيار الجميل والقبيح، وعندما يكون للإنسان قوة على فعل الجميل فعليه إدامة الجميل وفعل التمييز بالحفاظ على هذه القوة. وفعل الجميل لا يتأتى طوعاً، وإنما بالمران وأن يكون المرء حر الاختيار لفعل الجميل دائماً[1]. وهنا يؤكد الفارابي أن الجميل لا يقترن بالجانب الفني؛ أي ليس من خلال النتاجات الفنية فحسب، وإنما من خلال الأفعال، وما دام الاثنان يرميان إلى فعل الخير، وأن مسعى الفنان المسلم وغاياته في الوصول إلى السعادة من خلال الخير والحق[2]. ويعتقد الفارابي بأولوية الموسيقى النظرية على الموسيقى العملية، فالمعرفة تمثل جانباً مُهماً في الصياغات والممارسات العملية، كما أن له طروحاته في مجال الذائقة الجمالية تجاه الألحان، فهو يرى أن هذه الذائقة تتسم بعدم الثبات بتعاقب الأجيال، وهكذا هو حال الفنون جميعا. علما أن الفنان المسلم إنما ترسو مفاهيمه الجمالية من خلال نتاجاته الفنية، بحيث لا يصيبها التبدل والتغيير على مستوى الذائقة الجمالية.

أما (إخوان الصفا وخلان الوفا) فقد استندوا إلى فكرة التناسب مقياسا لكل صور الجمال، وقد وظفها إخوان الصفا لتشمل كل أنواع الفنون والصناعات. ويرى إخوان الصفا إن أنَّ مراتب الموجودات مطابقة لمراتب الأعداد وان وأنَّ الكل يرجع إلى الواحد[3]. ونظرية إخوان الصفا لنظام الكون وترتيب أجزاءه، تعكس صورة جمالية تشمل الكون بأكمله. كما أكد إخوان الصفا على أن "صناعة الموسيقى يستعملها كل أفراد الأمم ويستلذها جميع الحيوانات التي لها حاسة السمع – بما فيها الإنسان طبعا – وأنَّ للنغمات تأثيرات في النفوس الروحانية"[4]، ومن ثم كان لهذا التلون في الأنغام واللحون تأثيراته على نفوس المستمعين واختلاف تأثيرها من حال إلى حال ومن ضد إلى ضد على المسرور غيره على المتألم وعلى المريض غيره على السليم أو المعافى البدن فكل واحد يتأثر حسب وضعه الخاص وفهمه للنغم. وبهذا يكون إخوان الصفا قد سبقوا كروتشه بألف عام في التحدث في النظرية الجمالية من زاوية الموسيقى وخصوصا عندما تحدثوا عن علاقة الروح بالموسيقى[5]، وهذا ما قاله بعدهم كروتشه نفسه واشتهر على أساسه في علم الجمال.

[1] قلعة جي، عبد الفتاح رواس. مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر، ط1، 1991، ص18.

[2] ينظر، الفارابي. رسالة التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق سحبان خليفات، عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ط1، 1953، ص64.

[3] ينظر، إخوان الصفا. رسائل إخوان الصفا وخلان ألوفا، تصحيح خير الدين الزركلي، ج3، القاهرة: 1928، ص201.

[4] المرجع السابق، ج1، ص188.

[5] عارف عبد فهد. "فن الموسيقى عند إخوان الصفا"، المرجع السابق، ص83.

أما ابن سيناء (370هـ-428هـ) فيعود إلى الموسيقى لفهم الجمال وإعطاء مفاهيم جمالية. ففي كتب كتاب (الشفاء) ينطلق في تحليله للصوت والموسيقى من الاستنتاج والإيحاء العقلي الناتج عن التجارب والقوانين المبنية على المراقبة الصحيحة. وكانت استنتاجاته تتجه بشكل رئيسي إلى مسالتين: الأولى، الصفات الجمالية للإدراك الصوتي. والثانية، نشأة الموسيقى. فالصوت برأي ابن سينا من حيث متعته ولذته، له طبيعة نوعية كالأشياء التي نميزها بالشعور، فالشعور غير السار لا يأتي من طبيعة الصوت؛ بل من الطريقة التي عرض فيها[1]. وارجع ابن سينا تأثر الإنسان بالموسيقى والتذاذه بها إلى سببين أحدهما: ما فيها من النظام والتناسب والانسجام في النغم، والآخر: ما يوجد فيها من محاكاة الأخلاق في الإنسان[2]. وأخيرا يرى ابن سينا أنَّ نطاق الموسيقى يقع ضمن فنون المحاكاة، والموضوع المحاكي في الموسيقى هو الأخلاق والأفعال الإنسانية لذلك قسم ابن سينا الألحان بالنظر إلى محاكاتها للجوانب الأخلاقية في الإنسان فالنغم الحاد يحاكي شمائل الجود والكرم، والنغم الثقيل يحاكي شمائل الحلم والاعتذار[3]. يرى ابن سينا أنَّ الجمال من مكونات الشيء الجميل؛ أي أن له قيمة ذاتية في نفسه. كما يرى أن الجمال شيء إلهي يرادف الخير، وأنه معنى مطلق مجرد غير قابل للتغيير، وقرر في قصيدته العينية على غرار فلسفة أفلاطون أن روح الإنسان تمتعت بالجمال الأزلي في الحياة الأولى، قبل أن تحل بالأجسام في هذا العالم، ومن أجل هذا إذا رأى الإنسان شيئا فيه نفخة من الجمال، أخذته الروعة لتذكر ما كان فيه. كما يتفق ابن سينا مع أرسطو في أنَّ الجمال هو الانسجام الحاصل من خلال وحدة تجمع في داخلها التنوع والاختلاف في كل منسجم. وأخيرا يذهب كما ذهب أفلوطين إلى أنَّ الجمال هو تلك الحياة التي وهبها الله مخلوقاته ونفخ فيها من روحه، ومن ثم فالشيء الجميل هو الذي يشع بالحياة[4]. إلى هذا الحد نصل إلى نتيجة مهمة جدا وهي أنَّ فلسفة الجمال عند ابن سينا تبدأ من المطلق واجب الوجود، وتعود إليه، فالإنسان ممكن الوجود في عرضه، واجبه في جوهره، صدر عن الله بعد خلقه من طين وزوده بالعقل والحواس ليتعلم فيعرف الكون فيعرف نفسه، فيعرف الله، يحركه في ذلك عشق غريزي للجمال المطلق، زرعه فيه المعشوق الأول، فتكتمل الحركة بالإياب، بعد أن بدأت بالصدور. بهذا المعنى تشكل فلسفة الجمال هي صورة متكاملة عن الاتجاهات الثقافية المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية ففيها اختلط الفكر بالخيال، والأدب بالفلسفة، والمنطق بالعاطفة، والعقيدة بالحياة.

[1] اوفسيا نكوف. موجز تاريخ النظريات الجمالية، تعريب باسم السقا، الطبعة الأولى، بيروت:1975، ص54.

[2] ابن سينا. جوامع علم الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف، القاهرة: 1956، ص7-8.

[3] ينظر، ابن سينا. جوامع علم الموسيقى، مرجع سابق، ص75.

[4] قلعة جي، عبد الفتاح رواس. مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، مرجع سابق، ص14.

أما أبو حامد الغزالي(450هـ -505هـ) فقد عرف الجمال بقوله: "كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر[1]. وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص سوى الله، فالجميل الحق المطلق هو الله تعالى[2]. أما بقية مظاهر الجمال في الموجودات فمتفاوتة تبعا لحضور كمالها الممكن لها اللائق بها، فتكون في مرتبة أدنى من مرتبة الجمال الإلهي، وذلك لحضور بعض كمالاتها الممكنة وهذا ما نجده في كل صور الجمال[3]. هذا بالإضافة إلى أن الغزالي يميز بين نوعين من الجمال، جمال يقع على الصورة الظاهرة التي تتعلق بتناسق الصورة الخارجية، وآخر يقع على المعاني التي تتصل بالصفات الباطنة[4]. كما ربط بين الجمال والخير، حيث ان حيث إنَّ الجمال لديه مرتبط كل الارتباط بمعاني الخير في محاولة منه لجعل الجمال ما يدعو إلى الخير والفضيلة، فقد عد الجمال من ضمن الخيرات والفضائل إضافة إلى اللذيذ والنافع، في مقابل الشرور التي هي الضار والقبيح والمؤلم[5]. وأخيرا يرى الغزالي أنَّ الجمال من ضمن فضائل الجسد التي تضاف إلى غيرها من الفضائل مثل الصحة والقوة، وهذه الفضائل تتباين فيما بينها في درجة تحقيقها لخير الإنسان وسعادته، فالجمال مقترنٌ بالصحة يكفي أن يكون الجسد سليما من الأمراض الشاغلة عن تحري الفضائل الأخرى[6]. وهنا نلاحظ أنَّ الغزالي جعل الجمال الظاهر من شأن الحواس والجمال الباطن من شأن البصيرة، ولكنه جعل الجمال المدرك بالبصيرة أحسن من ذلك المدرك بالحواس[7].

تأسيساً على ما سبق، يُمكن القول: إن الفلاسفة المسلمين أعطوا صفة الجمال المطلق إلى الله حيث ربطوا سائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي، والجمال سواء كان حسيا أم عقليا يرتبطُ بالجمال الإلهي لأنه أثر من آثاره. بالإضافة إلى ذلك فإنَّ التقارب الروحي بين الإنسان والذات الإلهية يعطي الإنسان إمكانية معرفة الجمال الأصيل المتمثل بالجمال الإلهي، فالإنسان عند تقاربه الروحي من الله يكتشف أنَّ جمال العالم المادي ما هو إلا انعكاس للجمال الإلهي. فالله جميل وهذا كاف ليعبر سبب اتجاه الإنسان نحو الجمال.

[1] الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين، ج4، بيروت: د.ت.، ص229.

[2] الغزالي، أبو حامد. المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق محمد عثمان الخشب، القاهرة: د.ت.، ص104.

[3] الغزالي، أبو حامد. المحبة والشوق والإنس والرضا، ط1، مصر: 1961، ص14.

[4] الغزالي. إحياء علوم الدين، ج4، مرجع سابق، ص300.

[5] الغزالي، أبو حامد. ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، ط1، مصر: 1964، ص306.

[6] المرجع السابق، ص299.

[7] ينظر، عز الدين إسماعيل. الأسس الجمالية في النقد العربي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، 1986، ص137-138.

إنَّ شعور الفلاسفة المسلمين بوجود حياة داخلية تتسامى في كمالها وجمالها على معيشتهم اليومية كتسامي دوافعهم الروحية على دوافعهم الجسدية هو ما يحفزهم للارتقاء إلى ما فوق حاجاتهم المباشرة، ويجعلهم دائبي البحث عما يمكنهم من تحسس لحظات المطلق في وجودهم المادي وحدودهم النسبية[1]. وهذه الخبرات المتعالية هي التي تعد منبعا لكل حضارة حقيقية، وهي تأخذ طريقها دائما نحو الانطلاق وتجد منافذ لها للتعبير عن فضاءات خطابها الديني والفكري والجمالي بكافة تجلياتها. لذا كان المقدس دائما مركزا فعالا لأكثر نشاطات الإنسان قدرة على التعبير عن الروح والخبرة بالمطلق وأبلغها ترجمة لجمالياتها، وهو ما يمثل الافصاحات الخارجية المحسوسة عن أعمق ما تنطوي عليه حضارة روحية في أسسها وتطلعاتها. والفن يستطيع مخاطبة النفس البشرية بأسمى مظاهر الحقائق الروحية بأن يصوغها في أشكال حسية تعبر عن جوهر الحقائق السامية بأرقى تجلياتها المركزية وهو الجمال بوصفه صفة ثابتة من صفات الله تعالى[2]. والغزالي واحد من أولئك الذين لا يقف إحساسهم بالجمال عند حد موجودات العالم الواقعي المحسوس، وإنما يسمو ذوقهم وعاطفتهم ذوقه وعاطفته إلى عالم مقدس إلهي يشع نورا وبهاء، وفيه تتمثل كل القيم المفضلة، قيم الحق والخير والجمال[3]. وإزاء هذا الجمال الإلهي المنبثق عن الذات الإلهية، يتلاشى كل جمال أرضي، وقد يرى بعض الصوفية أن الصور الجميلة المحسوسة، إنما تفيض عن جمال الذات الإلهية، فيستغرقون في تأمل هذه الصور الجزئية لأنها تدل على جمال الحقيقة الإلهية وتشير إليها. وقد عبر الصوفيون المسلمون عن هذه الأفكار، وهو ما تجلى واضحا في الشعر الصوفي، الذي يمتلئ بصور الحب الإلهي، وتدور أغلبها حول هذا الجمال المطلق الذي هو علة لكل حسن مقيد يتجلى في موجودات الطبيعة الظاهرة[4]. إنَّ الطابع المميز للنظرة الإسلامية الجمالية إلى الوجود هو ما يميز ثقافة المسلمين بما تمثله في الأجواء الروحية، وهو ما تنطلق به النظرة الإسلامية إلى الحياة والفن والوجود. ومن لم يتمثل هذه الروح ويتفهمها، يعجزُ عن تكوين معرفة صحيحة عن الإسلام وثقافته. إذ "لا موضع للإنسان في المجتمع إلا إذا درب نفسه أولا على إدراك الجمال"[5]. ويتعالى مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية، ويتسع فيشمل العقل والسلوك، والمعنى الذي يحمله اللفظ، وليس الشكل الفني للأداء اللفظي فقط.

المبحث الثالث: الأبعاد الوجودية والمعرفية لفلسفة الجمال الإسلامية:

[1] الشمري، عبد الكريم سلمان. مشكلة العلم الإلهي في الفكر الإسلامي، بغداد: بيت الحكمة، ص176.

[2] ينظر، محمد عمارة. الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة: دار الشروق، 1991، ص151-182.

[3] ينظر، محمد علي أبو ريان. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993، ص20-22.

[4] قبيلة فارس المالكي. الجمال في الفكر العربي، مرجع سابق، ص138. كذلك ينظر، اوفسيكا نكوف. موجز تاريخ النظريات الجمالية، مرجع سابق، ص49.

[5] محمود، زكي نجيب. الشرق الفنان، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.، ص48.

اتضح لنا فيما سبق أن "علم الجمال" مصطلح يستعمل للدلالة على تخصص من تخصصات العلوم الإنسانية التي تعنى بدراسة "الجمال" من حيث هو مفهوم في الوجود، ومن حيث هو تجربة فنية في الحياة الإنسانية. كما اتضح لنا أن مفهوم الجمال قديم قدم الإنسان نفسه، كانت له تجليات خاصة مع كل تجربة إنسانية، ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا من الحضارات الإنسانية جملة[1]. ذلك أن الجمال في الإسلام أصل أصيل، سواء من حيث هو قيمة دينية أو من حيث هو مفهوم كوني، وكذا من حيث هو تجربة وجدانية إنسانية. ومن هنا كان تفاعل الإنسان المسلم مع قيم الجمال ممتدا من مجال العبادة إلى مجال العادة، ومن كتاب الله المسطور إلى كتاب الله المنظور. مما خلد روائع من الأدب والفن التي أنتجها الوجدان الإسلامي في قراءته الراقية للكونين وسياحته الرائعة في عالم الغيب وعالم الشهادة.

قاد الجهل بالتراث الإسلامي بعض فلاسفة الغرب إلى حصر تجربة الجمال الإسلامي في مجال الإدراك العقلي دون الإدراك الوجداني العاطفي؛ واتهمت التجربة الإسلامية بالفقر الفني والجمالي، فأقل ما يقال عن مثل هذا الاتهام أن صاحبه جاهل بحقيقة الفن الإسلامي وقيمه الجمالية من جهة، وبتجربة الفلاسفة المسلمين من جهة أخرى[2]. أعني على المستوى الجمالي، في كل تجلياتها العربية وغير العربية: فارسية وهندية وتركية.

انبرى الفيلسوف الفرنسي المعاصر (إتيان سوريو)[3]. للدفاع عن هذه الحقيقة، رداً على بعضهم، لكنه مع ذلك لم يكن موفقا كل التوفيق بسبب نقص المعطيات عنده عن قيم ومفاهيم الجمال في الفلسفة الإسلامية وعن تجربة المسلمين في ذلك المجال.

إن الجمالية الإسلامية تنبع أولا من حقائق الإيمان، إذ تشكل الوجدان الإنساني فيها مما تلقاه من أنوار عن رب العالمين، وما انخرط فيه بعد ذلك؛ سيرا إلى الله تعالى عبر أشواق الروح، مبدعا – بإتباع تعاليم نبيه صلى الله عليه وسلم – أروع ألوان التعبير الجمالي، من سائر أشكال العبادات والمعاملات والعلاقات، انطلاقا من حركته التعبدية في جمالية الصلوات ولوحاتها الحية الراقية وما ينظمها من عمران روحي ومادي، إلى هندسة المدائن الإسلامية بما تحمله من قيم روحية سامية، وقيم حضارية متميزة جدا، إلى سائر النشاط الإنساني الذي أبدعه المسلمون في علاقتهم بربهم وعلاقتهم بأنفسهم وبغيرهم، إلى علاقتهم بالأشياء المحيطة بهم. كل ذلك تفاعل معه المسلم؛ فأنتج أروع الأدبيات التعبيرية والرمزية، مما لا تزال تباريحه المشوقة بالمحبة، من الترتيل إلى التشكيل

[1] حسن هنداوي. على ضفاف الفلسفة، بغداد: بيت الحكمة، 2005، ص50.

[2] ينظر، عبد الله إبراهيم. المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص149.

[3] إتيان سوريو. الجمالية عبر العصور، ترجمة ميشيل عاصي، بيروت/باريس: منشورات عويدات، ط2، 1982، ص180. كذلك، محمد محمود الكبيسي. نحو فلسفة تطبيقية جمالية، ضمن أعمال المؤتمر القطري الثالث للفلسفة، بغداد،6-7اذار 2005، ص155-164.

تفيض على العالم بالجمال والجلال، ورسموا كلمات الجمال بما لا قبل به لأحد من العالمين[1]. إنَّ الطابع المميز للنظرة الإسلامية الجمالية إلى الوجود هو ما يميز ثقافة المسلمين بما يتمثل في الأجواء الروحية، وهو ما تنطلق به النظرة الإسلامية إلى الحياة والفن والوجود. ومن لم يتمثل هذه الروح ويتفهمها، فأنه لا يستطيع أن يُكوِّن معرفة صحيحة عن الإسلام وثقافته. إذ "لا موضع للإنسان في المجتمع إلا إذا درَّب نفسه أولا على إدراك الجمال"[2].

وإذا كانت العلوم الفلسفية تتطلب جهدا في التفكير فإن علم الجمال يتطلب في نظر الفلاسفة المسلمين حدسا ثاقبا ونفسا صافية وإدراكا قد يكون أصعب من الذي تتطلبه الحكمة. والسبب في ذلك أن الفن بصفة عامة والجمال بصفة خاصة يتطلبان ذوقا رفيعا يسموا على عالمنا الحسي المشاهد. وهذا ما لم نجده في الدراسات الغربية في مجال الجمال، فالاختلاف واضح في الممارسة والتعريف، وهذا الاختلاف عائد إلى أسباب عدة من أهمها الطابع الديني، وطابع التفكير والبنية التراثية والتجربة التاريخية الخاصة لكل منهما. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا المفهوم قد تم تناوله أول الأمر على يد فلاسفة اليونان الذين لم يصلوا إلى نظرية متكاملة تكون أرضية صلبة لأغلب إشكالات الفن والحكم الجمالي، لكن الفلاسفة المسلمين أبدعوا نظرية متكاملة في الجمال تعتمد أساسا على المفاهيم الإسلامية كالتناسق والانسجام والتكامل.

قدم الفلاسفة المسلمون من خلال مفهوم الجمال فلسفة واقعية تقبض على الوجود المحسوس وتنفذ إلى أغواره بأقصى ما تستطيع من التحليل والعمق والأصالة، في نظام محكم من التصورات. وهي أخيرا طلب دائم للمعقول الذي هو شغلها الشاغل، لتقيم صرحا شامخا لا يفارق الأرض، قواعده أوليات العقل وبديهياته، ولبناته الوقائع المحسوسة وملاحظة الطبيعة والوجود، وعليته كل ما يمكن استخلاصه من ذلك من نتائج وأوضاع قوامها التجريد والسمو إلى العالم الإلهي. وإذا كانت الجماليات النفسية أسمى وأرقى من الجماليات الطبيعية الجمادية، فإن هناك جمال جمالاً آخراً يعلو ويسمو فوق كل جمال هو جمال وجلال الله تعالى.

وهذا يعني أن مفهوم الجمال، أي التكامل والانسجام بين ما هو روحي وما هو مادي ممثلة تمام التمثيل في فلسفة الجمال عند الفلاسفة المسلمين بصورة لا يعوزها الوضوح ولا اليقين، بحيث أصبح الجمال ظاهرا في كل تفاصيل الوجود. ففي هذا الصدد نجد أنَّ مفهوم الجمال بلغ من العمق والاتساع إلى الحد الذي جعله من ابرز صفات وخصائص العالمين الطبيعي والإلهي، ذلك أنَّ

[1] ينظر، العزب، محمد احمد. "الجمال من المنظور الإسلامي"، الكويت: مجلة الوعي الإسلامي، العدد 112، 1982، ص7.

[2] محمود، زكي نجيب. الشرق الفنان، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.، ص48.

أغلب المسائل وأبرزها التي تناولها العلم الطبيعي والعلم الإلهي كانت خاضعة لمفهوم الجمال فما من مسألة إلا ويدخل الجمال في أحد جوانبها، إن لم يكن في أغلب جوانبها.

وإذا ما عدنا إلى مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية فسنجد أنفسنا أمام مدرسة فلسفية تجاوزت الاستيعاب والشرح والنقد للموروث اليوناني. بحيث أعطتها دورا ايجابيا ووعيا متطورا للجمال والفن، ومكنتها من إحداث قطيعة فعلية مع عدد من المفاهيم والإشكالات التي ظلت بمثابة معوقات أمام تطور النظر الجمالي وانفتاحه على آفاق جديدة.

وهكذا نجد أن الجمال في فضاء المعرفة الإسلامية كان أمام مقدس والهي يحافظ على لفظه كحفاظه على معانيه، ومن هنا ندرك أهمية تأكيد الفلاسفة المسلمين على مراعاة اللغة العربية وأصولها، وكان لابد للجمال من التكيف مع الضوابط المفروضة عليه ومسايرة التفاسير لمتطلبات العصر وعدم التناقض معها.

وفي الفكر الفلسفي الإسلامي، نجد ان أنَّ الجمال على الرغم من كونه مفهوما هاما يفتح الطريق إلى الاجتهاد والتجلي، ويخلص الفكر من الوقوع في براثن الاتجاه الواحد أي الاتجاه الدغمائي القطعي، فإنه يجب أن يلتزم بضوابط حتى لا يقع في إسقاطات ذاتية أو إيديولوجية مثل تلك التي وقعت فيها بعض الاتجاهات البركماتية البرجامتية والتفكيكية واتجاهات ما بعد الحداثة في الفكر الغربي.

ومن هنا يشكل مفهوم الجمال عند الفلاسفة المسلمين مخرجا علميا ودينيا مناسبا في عصرنا للتخلص من الاتجاهات الحرفية والظاهرية والدغمائية التي تحاول بعض الجماعات اعتناقها والدفاع عنها، معرضةً عن مستجدات العصر وتطوراته العلمية والحضارية من ناحية، وناسية أو متناسية ذلك الأفق المفتوح لسيل المعاني والمفاهيم الإلهية التي يمكن أن يصل إليها فكر المجتهدين والحكماء ممن ينظرون ويعتبرون في نصوص إلهية لا تنفذ معانيها ولا تخلق لطائفها على مر السنين، متسلحين في ذلك بالعلم الصحيح وبالفكر السليم.

فالمعاني تضمن استمرار الجمال وتحميه من الزوال والموت. وبذلك يتم الربط بين الإلهي والإنساني، والجمع بين السرمدي والزماني، ويكتسب كل ذلك مشروعيته من خلال الفهم الذي ينص عليه الشرع. ولهذا كانت المفاهيم الجمالية بحد ذاتها تثير بتوصيفها اختلافا بينا بين مفهومها الإسلامي الذي يمثل الجمال فيه ركيزة أساسية وسبيلا إلى الاجتهاد وبين مفهومها الغربي القائم على إقصاء الجمال من خلال إقرار المنفعة واللذة، أنَّه قابل لأن يحمل معاني ومدلولات لا يحملها أصلا.

هكذا أعلن الفكر الإسلامي التزامه بشروط الجمال، والموضوعية في الفكر، والنظرة العقلية في الوجودين: المادي والمعنوي. لا كما يظن الذين أرادوا التستر بالفلسفة لإيهام أمة الإسلام بأصالة الفهم الغربي للفن والجمال بهدف إحلال الدين الطبيعي محل الدين الإلهي، وصولا إلى إحلال النموذج الغربي في التقدم والنهوض محل النموذج الإسلامي في النهضة والإصلاح[1]. وهي مقاصد تقطع الطريق عليها منهجية الفلاسفة المسلمين، من حيث إنه يقصر فهم الجمال لضوابط شرعية إذ أنَّ مثل هذه المسائل النظرية عويصة، وتبحث في ضوء كثير من الاعتبارات الأخلاقية والقيمية والفكرية والعقائدية.

ومن هنا يشكل مفهوم الجمال عند فلاسفة الإسلام مخرجا علميا ودينيا مناسبا في عصرنا للتخلص من الاتجاهات الفكرية الهدامة التي أماتت جميع القيم والمقدسات.

ونحن بإزاء أزمة العلوم الإنسانية وقلب القيم، نلاحظ أن الدراسات الجمالية ما تزال تحت خط الموضوعية لأنها تهدر الوقائع الغيبية والحقائق الدينية لصالح المقاربات النظرية والتمثلات الذهنية التي تمارس فهم الجمال وفقا لخلفيات فكرية وأحكام جاهزة . ممَّا يعني أن فهم الجمال عملية التزامية وليست ممارسة مفتوحة على الجاهزيات الفكرية والثقافية أو الدوافع الذاتوية المصلحية لأن الموجود أو التصور أو الشيء الجميل لا يخضع إلى المعطيات التجريبية، فردية كانت أو جماعية. وهذا ما أكد عليه الفكر الإسلامي كمرتكز لفعل الإحساس بالجمال الديني المنضبط.

إن الجمال هو نمط من الإدراك والفهم والاستيعاب ليس الإنسان ببالغه إلاَّ عبر نظام الاجتهاد والمجاهدة، بما في المصطلح من تعبير حقيقي عن بذل الجهد واستنفاذ الطاقة الذهنية من أجل البلوغ بالعبارة إلى أقصاها والنفاذ إلى مكامن الدلالة حتى تتكشف حقيقة المعنى الجمالي. وهنا، نلاحظ أن الجمال يتناقض مع التبعية الفكرية من جهة، وأن حرية الإنسان ليست شانا إيديولوجيا، وإنما هي خصائص ذاتية وقيمة علمية وحضارية. ويدعي بعض المثقفين العرب ممن صنعوا على شاكلة معشوقهم الغرب، أن الثقافة الإنسانية واحدة، هي ما عند الغرب، وأن فلسفة الجمال هي ما عند الغرب أيضا. وينفون وجود فلسفة جمال عند العرب والمسلمين، لأنهم عرضوا ما عند هؤلاء على مرجعية أوروبية، فأهملوا ما لدينا، ورفضوه، بعد أن لم يجدوا فيه ما قررت لهم، هذه المرجعية، أنه فلسفة الجمال. وكأنما الفرق في الجمالية بين مفهوميها الغربي والإسلامي كالفرق بين الطبيعة والتمثال أو بين الحقيقة والخيال. ولم تكن الصورة التي يُبدعها المسلم ثابتة قارة في متحف "اللوفر" أو غيره من متاحف العالم، ولكنها صورة حية يشكلها

[1] ينظر، عبد الله إبراهيم. المطابقة والاختلاف، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،2004، ص539.

بإبداعه اليومي بين ركوع وسجود، وطواف وسعي، أو بين صوم وتبتل، وانقطاع يصله كليا بالملأ الأعلى. يقول (إتيان سوريو): "والحقيقة التي لا بد من التنويه بها كذلك، هي أن الروحية الإسلامية تحترس على الأخص من مخاطر الفن التجسيمي، وتجد لها ضمانات كُبرى في استعمال الفن التجريدي.

من هنا، ومن هذه الوجهة خصوصا، يجب تفسير الوضع الجمالي للفن الإسلامي من الناحية التجريدية"[1]. لهذا لابد من التخطيط لصحوة إسلامية معاصرة تتبنى إصلاح التربية الفنية والذوقية[2]، وترهف حسها بمواطن الجمال في هذا الدين، عقيدة وشريعة.

الخاتمة:

لقد توصل البحث إلى نتائج كان أبرزها:

1- أن هناك اختلاف واضح بين الفلسفتين الإسلامية والغربية بصدد فهم الجمال. وهذا الاختلاف ناتج عن منطلقاتهما والغاية التي يهدفان إليها. فمن ناحية، بينما تقوم فلسفة الجمال الغربية على الفهم اللامحدود الذي يدور في متاهات لا تحكمها أية غاية، والفن نسيج من المرجعيات المتداخلة. تتقيد فلسفة الجمال الإسلامية بضوابط وأحكام عقلية وشرعية وتمتد لتشمل التوفيق بين الحقائق المتعددة بغية الوحدة المعرفية.

2- إن منهجية الفلاسفة المسلمين في فهم الجمال تؤمن بوجود معنى مبثوث في الألفاظ أو الأشياء ويجب اكتشافه. واعتمادا على هذه المعايير وضعت قوانين فهم الجمال والإحساس به، فهي تراعي مقتضيات الأحوال، وبتعبير معاصر مراعاة السياق والمساق.

3- انطلاقا من الرؤية الإسلامية التي وحدت المنظور الجمالي فيما هو متميز بين الحكمة والشريعة، اتضح لنا أن النظرية الجمالية في الفلسفة الإسلامية تهدف إلى فهم الوجود على حقيقته.

4- إن الفلسفة الجمالية لدى الفلاسفة المسلمين تعارض وتوافق وتضيف أحيانا على الآراء الفلسفية لأفلاطون وأرسطو وأفلوطين. وأن فلسفتهم إنما تتفاعل تفاعلا حيا مع الفلسفة اليونانية. غير مستنسخة عنها. وموظفة إياها وفقا للتوجهات الإسلامية.

[1] توفيق الطويل. أسس الفلسفة، الطبعة السادسة، القاهرة ، دار النهضة العربية،1976، ص455.

[2] ينظر، محمد قطب. منهج الفن الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ط6، 1983، ص93. كذلك ينظر: محمد احمد الراشد: آفاق الجمال، ط3، دار المحراب للنشر، فان كوفر، كندا،2003، ص32.

5- إن الفلسفة الجمالية للفلاسفة المسلمين فاعلة حية بصورة جدل، يشكل ديمومة مع أفكار الفلسفة الحديثة والمعاصرة وتنظيراتها، والنقد الجمالي، والثقافة الحديثة عموما.

6- يحاول الفلاسفة المسلمون التوفيق بين المنهج الحدسي والمنهج العلمي العقلي ودورهما في النتاجات الفنية، وهنا يظهر فعل الجمع بين الفكر الأفلاطوني المثالي الذي يعتمد الحدس منهجا فيه، والفكر الأرسطي الذي يجعل من العقلي والمادي والحسي والتجريبي أساسا في طروحاته الجمالية.

7- لا يرتبط الجمال لدى الفلاسفة المسلمين بالنتاجات الفنية فحسب، وإنما يقترن كذلك بالأفعال، وهذا بحد ذاته جمع بين المادي التجريبي وبين المعنوي، وأن الجميل يقترن لديهم بالفضيلة، ويتصل بمفاهيم الخير. وهو جمال كلي يسمو فوق جزئياته وأبعاده الحسية، وهذا ما ينشده ويرمي إليه الفنان المسلم من وراء نتاجه الفني.

8- إن الجمال لدى الفلاسفة المسلمين، ومقدار تصور جزئيته أو كليته إنما يقترن بالعقل وفقا للجدل الصاعد، فالعقل الفعال، على سبيل المثال، أكثر قدرة على إدراك الكليات، وإن الجمال الأرضي بشكل أو بآخر، يبقى ظاهرا بحدود الحواس التي تستقبله.

9- إن للفلاسفة المسلمين آرائهم في مجال الذائقة الجمالية، واقترانها بالأحكام الجمالية، وتفاوت الذائقة بين المتلقين للظاهرة الجمالية، وتبدل الأحكام الجمالية بتعاقب الأجيال، وإن اتفاق الأغلبية في الحكم الجمالي، يمنح الشيء الجمل سمته الجمالية ويزيد من موضوعية الحكم الجمالي، وإن خلل الحاسة المستقبلة للظاهرة الجمالية يضعف موضوعية الأحكام الجمالية.

وحسبي أن أقف عند هذا الحد وفي الختام احمد الله تعالى أولا وأخيرا الذي بنعمته تتم الصالحات واصلي واسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Aesthetics Concepts and its Manifestations in Islamic Philosophy

Assistant Teacher. Dr. Sami Mahmood Ibrahim

Head of the Department of Philosophy /College of Arts/ University of Mosul-Iraq

Abstract: The research proceeds from an objective fact that the concepts of aesthetics and its manifestation is an embodiment of the bids compendium reached by the mind . in this research , we emphasize that the concepts of aesthetics is an integrated picture of the different cultural trends identified to the Arabic-Islamic civilization , therefore the research aims also to understand the philosophy of aesthetics and place it in its correct cultural , social and historical framework.

The first section specializes in : identifying the concepts of aesthetics and defining them language and idiom, revealing the real value of Islamic aesthetics and to what extent the Islamic thought understand the most major issues ,mainly the concept of majesty. This section is as an introduction to the idea of aesthetics and its perception.

The second section deals with Greek and Islamic philosophers 'concepts of aesthetics. the research restrictions impose exploring the basic origins of aesthetics in an questionnaire of its comprehensiveness and encompassing all aspects of philosophy. Among these origins is the concepts of slavery, knowledge, exploration and manifestation and they are enhanced for understanding aesthetics.

We will also distinguish in this section between absolute and restricted aesthetics and if absolute aesthetics is one because it corresponds the one and only, the necessary existent and worthy only to him. The restricted aesthetics is multiple because it corresponds all the creatures except Allah.

The third section discusses the existential and cognitive dimensions of the Islamic philosophy of aesthetics.

The conclusion covers the most important results of the research.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، زكريا. **فلسفة الفن في الفكر المعاصر**، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، القاهرة مصر 1966.
2. إبراهيم، زكريا. **كانت أو الفلسفة النقدية**، (مكتبة مصر) القاهرة:1963.
3. إبراهيم، زكريا. **مشكلات فلسفية (مشكلة الفن)**، مكتبة مصر، د.ت. القاهرة، مصر.
4. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ج5. بيروت، لبنان.
5. ابن سينا. **جوامع علم الموسيقى**، تحقيق زكريا يوسف،(مكتبة مصر) القاهرة: 1956.
6. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. **لسان العرب، مادة جمل، المجلد الأول**،(دار النهضة) بيروت: د.ت.
7. أبو ريان، محمد علي. **فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، القاهرة، 1993.
8. إخوان الصفا. رسائل إخوان الصفا وخلان ألوفا، **تصحيح خير الدين الزركلي، ج3**،(دار المعارف) القاهرة: 1928.
9. أديب نايف ذياب." **نظرية الفارابي في الموسيقى**"، مهرجان الفارابي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1975.
10. أديب نايف ذياب."**نظرية الفارابي في الموسيقى، قراءة جمالية**"، مجلة البيان، العدد1975،117.
11. أرسطو. **فن الشعر**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1973.
12. أفراح لطفي عبد. "**فلسفة كروتشه الجمالية**"، (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1994).

13.أفلاطون. **الجمهورية**، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1974.

14.أفلاطون. **محاورة فايدروس**، ترجمة أميرة حلمي مطر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1969.

15.الالوسي، حسام محي الدين. **الفن"البعد الثالث لفهم الإنسان"**، بيت الحكمة، بغداد، العراق 2008.

16.إتيان سوريو. **الجمالية عبر العصور**، ترجمة ميشيل عاصي، منشورات عويدات، ط2، بيروت، لبنان، 1982.

17.اندريه لالاند. **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل احمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة، ج1، بيروت، لبنان، 2008.

18.اوفسيا نكوف. **موجز تاريخ النظريات الجمالية**، تعريب باسم السقا، الطبعة الأولى، بيروت:1975.

19.البستاني، الشيخ عبد الله. **معجم البستان، ج1، مادة جمل**، ط1، دار العلم، بيروت: 1972.

20.التهانوي، محمد علي الفاروقي. **كشف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع،ج1،مادة جمال، القاهرة:1963.

21.توفيق الطويل. **أسس الفلسفة**، ، دار النهضة العربية، الطبعة السادسة، القاهرة، مصر، 1976.

22.توفيق الطويل، وسعيد زيدان. **المعجم الفلسفي**، مادة جمل، دار القلم، القاهرة: 1983، ج1.

23.الجاف، زياد كمال مصطفى. "**الأسس الجمالية في الفلسفة النقدية عند عمانؤيل كانت**"، (رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2001).

24. جان برتليمي. **بحث في علم الجمال**، ترجمة أنور عبد العزيز، مراجعة نظمي لوقا، دار لوتس، ط1، مصر، د.ت.

25. جان دوفينيو.**سوسيولوجيا الفن**، ترجمة هدى بركات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.1983

26. جميل صليبا. **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان .1982

27. جميل صليبا. **المعجم الفلسفي**، ، ج1، مادة جمل، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، .1971

28. جورج سانتيانا. **الإحساس بالجمال**، ترجمة محمد مصطفى بدوى، مراجعة وتقديم زكى نجيب محمود، مصر ، القاهرة، 2002

29. جوليوس بورتنوي. **الفيلسوف وفن الموسيقى**، ترجمة فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة:.1974

30. حسن هنداوي. **على ضفاف الفلسفة**، بيت الحكمة، بغداد، العراق.2005

31. داود سلمان فرج. **فلسفة الجمال عند العرب**، مجلة آفاق عربية، السنة الثانية، العدد(40)، 1976.

32. الديدي، عبد الفتاح. **فلسفة الجمال**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر .1985

33. رائد احمد كمر. "**الرؤية الجمالية في الفلسفة الإسلامية من الكندي إلى الغزالي**"، (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1998).

34. الرازي، محمد بن أبي بكر. **مختار الصحاح، مادة جمل**، ، دار شمس، الكويت: 1983.

35. زكي نجيب محمود. **نافذة على فلسفة العصر**، سلسلة كتاب العربي، الكويت،.1990

36. السامرائي، سناء عبد الوهاب. "**علاقة الجمال بالأخلاق في فلسفة أفلاطون**"،(رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1989).

37. ستيس، ولتر. فلسفة الروح عند هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.1982

38.ستيفان كورنر. **مسائل أساسية في الفلسفة**، ترجمة كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد، العراق.2009

39. سعيد زايد. **الفارابي(سلسلة نوابغ الفكر)**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1962.

40. الشمري، عبد الكريم سلمان. **مشكلة العلم الإلهي في الفكر الإسلامي**، بيت الحكمة، بغداد، العراق،2009.

41. شلق، علي. **العقل في التراث الجمالي عند العرب**، ط1، دار القلم، بيروت:.1985

42. صابر جيدوري."**الخبرة الجمالية وابعادها التربوية في فلسفة جون دوي**"، مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد الثالث،.2010

43. الأصفهاني، الراغب. **معجم مفردات ألفاظ القران، مادة جمل**، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، مطبعة التقدم العربي، ، لبنان، بيروت، 1972.

44. ظاهر احمد الراوي الطرابلسي. **القاموس المحيط**، ، مصر، القاهرة، د.ت.، مادة جلل، ج.1

45. عارف عبد فهد. "**فن الموسيقى عند إخوان الصفا**"، مجلة دراسات فلسفية، بغداد: بيت الحكمة، 2009.

46. عبد اللّه إبراهيم. **التفكيك" الأصول والمقولات**، دار الاندلس، المغرب،.1989

47. عبد الله إبراهيم. **المطابقة والاختلاف**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت، لبنان،2004

48. عبد القادر فيدوح. **الجمالية في الفكر العربي**، دار نينوى، دمشق: .1999

49. عز الدين إسماعيل. **الأسس الجمالية في النقد العربي**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد، العراق.1986

50. العزب، محمد احمد. "**الجمال من المنظور الإسلامي**"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 112، الكويت، .1982

51. عبد المنعم تليمة. **مداخل إلى علم الجمال**، منشورات عين المقالات، ط2،1987، الدار البيضاء، المغرب.

52. عمر فروخ. عبقرية العرب في العلم والفلسفة، المكتبة العصرية،ط5، بيروت، لبنان، .1989

53. الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث، ج4 ، ط1، القاهرة، مصر.2004

54. الغزالي، أبو حامد. المقصد **الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، تحقيق محمد عثمان الخشب، دار المعارف، القاهرة: د.ت.

55. الغزالي، أبو حامد. **المحبة والشوق والإنس والرضا**، ط1، المعارف، مصر: .1961

56. الغزالي، **أبو حامد. ميزان العمل**، تحقيق سليمان دنيا، ط1، المعارف، مصر: .1964

57. غيورغي غاتشف. **الوعي والفن**، ترجمة نوفل نيوف، عالم المعرفة، عدد 146، شباط، الكويت .1990

58. الفارابي. **الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1998.

59. الفارابي. **آراء أهل المدينة الفاضلة**، تحقيق ألبير نصري نادر، ط1، القلم، بيروت: .1959

60. الفارابي. **السياسة المدنية**، تحقيق فوزي متري النجار، ط1، القلم، بيروت:.1964

61. الفارابي، أبو نصر. **رسالة في قوانين صناعة الشعراء(ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس)**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.1953

62. الفارابي. **رسالة التنبيه على سبيل السعادة**، تحقيق سحبان خليفات، عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ط1، .1953

63. الفارابي، أبو نصر. **رسالة في العلم الإلهي، ضمن كتاب(أفلوطين عند العرب)**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط3، الكويت:.1977

64. قبيلة فارس المالكي. " **الجمال في الفكر العربي**"، مجلة الحكمة، بغداد، عدد22(2002).

65. القشيري، مسلم بن الحجاج أبو موسى، **الحديث في صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القلم، بيروت: د.ت. ،ج1.

66. قلعة جي، عبد الفتاح رواس. **مدخل إلى علم الجمال الإسلامي**، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان .1991

67. الكبيسي، محمد محمود. **الجمال عند الغزالي**، ضمن أعمال المؤتمر العلمي السادس لآداب المستنصرية، بغداد،.1994

68. الكبيسي، محمد محمود. "**الجمال عند الفارابي**"، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد27، .1996

69. الكبيسي، محمد محمود."**الألفاظ الجمالية في اللغة العربية**"، مجلة دراسات فلسفية، بيت الحكمة، عدد20(2007). بغداد، العراق.

70. الكبيسي، محمد محمود. **نحو فلسفة تطبيقية جمالية**، ضمن أعمال المؤتمر القطري الثالث للفلسفة، بغداد،(6-7) آذار 2005.

71. الكندي. **مؤلفات الكندي الموسيقية**، تحقيق زكريا يوسف، دار الحكمة، بغداد: .1962

72. الكندي. **رسائل الكندي الفلسفية**، تحقيق محمد عبد الهادي، ط1، المعارف، مصر: .1968

73. الكندي. **رسائل الكندي الفلسفية**، تحقيق محمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر .1950

74. كانت، امانؤيل. **نقد ملكة الحكم**، ترجمة غانم هنا، القلم، بيروت، لبنان .2005

75. محمد احمد الراشد. **آفاق الجمال**، ط3، دار المحراب للنشر، فان كوفر، كندا،.2003

76. محمد إسماعيل إبراهيم. **قاموس الألفاظ** والأعلام القرآنيةط1، المعارف، القاهرة: 1381**هـ**.

77. محمد عمارة. **الإسلام والفنون الجميلة**، دار الشروق، القاهرة، مصر.1991

78. محمد قطب. **منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، ط6، القاهرة، مصر .1983

79. محمود، زكي نجيب. **الشرق الفنان**، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت. بغداد، العراق.

80. مطر، أميرة حلمي. **فلسفة الجمال**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر .1984

81. مطر، أميرة حلمي. **فلسفة الجمال، نشأتها وتطورها**، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر 1984.

82. الموسوعة الفلسفية، **عدد من الفلاسفة السوفيت**، بإشراف روزنتال، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم وآخرين، بيروت، لبنان.1980

83. نايف بلوز. **علم الجمال**، ط1، دمشق: .2003

84. نيتشه، فريدريك. **إنسان مفرط في إنسانيته**، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، .1998

85. هربرت ريد. **الفن والمجتمع**، ترجمة فارس متري، بيروت: .1975

86. هربرت ماركوز. **البعد الجمالي**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط2، بيروت، لبنان، 1982،

87. هيجل. **المدخل إلى علم الجمال**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، .1988،3

88. هيجل. **فن النحت**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1980.